

سوسيولوجيا البيئة في ظل المدارس النظرية والاتجاهات المفسرة

أر ساعد هماش
قسم علم الاجتماع - جامعة باتنة

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى استخلاص العلاقة القائمة بين البيئة والمجتمع بالتطرق إلى مختلف المدارس النظرية التي تناولت مفهوم البيئة وعلاقتها بالفرد كجزء من المجتمع، وكذلك مختلف الاتجاهات المفسرة لهذه العلاقة، بداية بالمدارس والاتجاهات الكلاسيكية وصولاً إلى النموذج البيئي الجديد، وبمنهجية التحليل والربط تستهدف أيضاً إلى تشریح وتفصيل العلاقة القائمة بين البيئة والمجتمع في ظل ما يسمى بعلم الاجتماع البيئي من خلال تبیین ركائز المدارس والاتجاهات المفسرة لهذه العلاقة وتحليلها سوسيولوجياً، ومحاولة إيضاح أهم الفوارق الأساسية بينها.

الكلمات المفتاحية: سوسيولوجيا البيئة، المدارس النظرية البيئية، الاتجاهات البيئية.

Abstract:

This study aims to identify the relationship between the environment and society through different theoretical schools that dealt with the concept of the environment and its relation to the individual and society, as well as the different directions explaining this relationship, beginning with schools and classical trends up to the new environmental model and also to clarify the relationship between the environment and society In light of environmental sociology of school rules and trends explained for this relationship and social analysis, and try to clarify the most fundamental differences between them.

Keywords: environmental sociology, environmental theory schools, environmental trends.

مقدمة:

منذ وجد الإنسان على هذه المعمورة، وهو في صراع مباشر مع البيئة وما تحويه من تحديات وصعوبات، ففي بداية الأمر كان يعيش على ما يصطاده من الحيوانات والأسماك، ثم بنوع من التطور صار يقاتل من الزراعة وما تنتجه الأرض، ومع تطور الفكر البشري حاول التأقلم أكثر مع الظروف البيئية والكوارث الطبيعية وتحدياتها، فتارة يسايرها، وتارة يحاول السيطرة عليها، وتارة يستسلم لها، ولتفسير هذه العلاقة بين الإنسان والبيئة ظهرت عدة نظريات واتجاهات فكرية ومؤلفات علماء وباحثين محاولة لتفسير الرابطة التبادلية بين الإنسان والطبيعة، وهو ما يعرف بالنظريات البيئية.

وفي هذا الإطار تأتي هذه الدراسة لتتناول أهم المدارس النظرية والنماذج المفسرة للعلاقة القائمة بين البيئة والفرد باعتباره مكوناً للمجتمع من خلال شرح وتفصيل ركيزة كل مدرسة ونموذج لتفسير هذه العلاقة بداية بالمدارس والاتجاهات الكلاسيكية وصولاً إلى النموذج البيئي الجديد.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تطرقت إلى موضوع جد مهم ألا وهو موضوع البيئة، حيث أصبح في الآونة الأخيرة يحظى باهتمام كبير سواء على المستوى المحلي أو العالمي نتيجة لما آلت إليه البيئة من تدهور كبير يهدد الحياة

البشرية، بالإضافة إلى مختلف المؤتمرات والندوات العالمية والمحلية حول موضوع البيئة والتلوث، وما يسببه هذا الأخير من أمراض ومشاكل تهدد استقرار واستمرار حياة الإنسان على المعمورة.

ولتحقيق مبتغى الدراسة سيتم اتباع منهجية الوصف والتحليل والربط واستخلاص النتائج والأفكار من خلال استعراض كل مدرسة ونموذج واستنباط أهم ركائز المدارس النظرية والاتجاهات المفسرة للوصول إلى نتائج عامة حول العلاقة بين البيئة والمجتمع، وذلك باشمالها على محورين أساسيين إضافة إلى مقدمة وخاتمة، وهما:

المحور الأول/ المدارس النظرية لدراسة البيئة والمجتمع، المحور الثاني / الاتجاهات السوسيولوجية لدراسة القضايا البيئية.

المحور الأول/ المدارس النظرية لدراسة البيئة والمجتمع:

قبل التطرق إلى اهم المدارس والنماذج المفسرة لعلاقة البيئة بالمجتمع، وجب أولاً تبيين مفهوم البيئة، فهي كلمة عامة وشاملة يصعب تحديد معناها بدقة ووضوح، تتخذ عدة معان خاصة إذا ألحقت بما بعدها، فهناك بيئة طبيعية، وبيئة بشرية، وبيئة اقتصادية، وبيئة اجتماعية... الخ، ولتحديد مفهوم البيئة بدقة وجب تحديد نمط العلاقة بينها وبين ما يليها.

وفي هذا الإطار تعد البيئة مفهوماً معقداً، ومن المفاهيم شائعة الاستخدام، يرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدميها، حيث ترتبط بالعديد من النشاطات البشرية، لذا فمن غير اليسير أن نضع تعريفاً شاملاً للبيئة يستوعب استخداماتها المختلفة، حيث يتطلب ذلك الإلمام بإطار كل من هذه المجالات فالبيئة بمفهومها الواسع تتجاوز الطبيعة الفيزيائية إلى مختلف مجالات الوجود الإنساني، وتتنوع بتنوع نشاط الإنسان والذي يعد في جوهره جدل بين الإنسان والطبيعة، وهو الذي أثمر الحضارة الإنسانية بأسرها (1).

وعرفت أيضاً على أنها: "كل ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على الصحة، فتشمل المدينة بأكملها، مساكنها وشوارعها وأنهارها وآبارها وشواطئها، كما تشمل أيضاً كل ما يتناوله الإنسان من طعام وشراب، وما يلبسه من ملابس بالإضافة إلى العوامل الجوية والكيميائية وغير ذلك (2).

وهي أيضاً تشكل: "الوسط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان وغيره من الكائنات الحية، وهي تشكل مجموعة الظروف والعوامل التي تساعد الكائن الحي بقائه ودوام حياته، أو هي مجموع العوامل الطبيعية والعوامل التي أوجدتها أنشطة الإنسان التي تؤثر في ترابط وثيق على التوازن البيئي، وتحدد الظروف التي يعيش فيها الإنسان بتطور المجتمع" (3).

من خلال التعريفات السابقة يتضح أن مفهوم البيئة مفهوم واسع ومتشعب يتحدد حسب استخدامات الكلمة في حد ذاته ضمن السياق اللغوي، ولكن المنفق عليه هو أن البيئة بمفهومها الواسع والشامل تشمل كل ما يحيط بالإنسان، يتأثر به ويؤثر فيه، ولا يمارس حياته اليومية إلا ضمنه، كما توجد هناك بيئة طبيعية وبيئة اصطناعية (من صنع الإنسان ضمن محيطه الطبيعي).

1- مدرسة الحتمية البيئية:

الفكرة الأساسية لهذه المدرسة تركز على أن البيئة هي المسيطرة على الإنسان بتسييره لا تخييره، ودوره فيها دور سلبي بالخضوع والتقييد، وأن لها إسهاماً كبيراً في تشكل ونشأة الثقافة والقيم والنظم الاجتماعية وحتى الطباع والأخلاق، وأن الاختلافات القائمة بين المجتمعات البشرية مردها إلى الاختلافات المتباينة في الظروف البيئية.

"وبدأ التفكير الحتمي في البروز خلال القرن التاسع عشر واستمر حتى أوائل القرن العشرين، إلا أن موضوع تأثير البيئة الطبيعية على الإنسان من الموضوعات القديمة التي عالجها الفلاسفة والكتاب كما عالجها المؤرخون والجغرافيون منذ القدم، والحتمية أو البيئية تعتبر الإنسان كائن سلبي خاضع للظروف البيئية المحيطة به، وحياته الجسدية والاجتماعية والحرفية انعكاس لتكيفه مع البيئة فهو منها وإليها"⁽⁴⁾.

وقد ظهرت أفكار وبنود هذه المدرسة خلال القرون ما قبل الميلاد، وبالتحديد عند مفكري الإغريق، الذين كان لهم الفضل في وضع حجر الأساس لكثير من العلوم ومن وراء هذه المدرسة هيبيوقراط (420 ق م) في كتابه "الجو والماء والأقاليم"، وأرسطو (322-284 ق م) في كتابه "السياسة"، أستر ابون (91-64 ق م)، وابن خلدون في القرون الوسطى أين تطرق إلى موضوع نشأة المدن والأمصار⁽⁵⁾.

ومن خلال متابعة أفكار رواد هذه المدرسة نجد هيبيوقراط وهو يضع أسس ومبادئ هذه المدرسة ينبه إلى أن الاختلافات بين سكان الإقليم والتي أبرزها اختلاف الصفات الجسدية والنفسية، واضعا مقارنة واضحة بين السكان المعرضين للعوامل الطبيعية مباشرة كالأمطار والرياح، وهم في العادة سكان الجبال محددات لسمات سلوكية وأخلاقية لهذه الفئة منها الشجاعة والإقدام، أما سكان الأقاليم السهلية فهم يتصفون بنحافة القامة والشقرة وفيهم طبيعة السيادة والإمارة⁽⁶⁾.

وفي كتابه "السياسة" فقد ركز أرسطو على العلاقة بين المناخ وطبائع الشعوب والارتباط الموجود بين تأثير المناخ في سمات الأفراد، وأعطى صورة على سكان الأقطار الأوربية بكونهم شجعان ولكن ينقصهم التفكير السليم، وهم أكثر حرية من غيرهم، عكس سكان آسيا فهم حكماء مهرو ولكن ينقصهم الحماس فيرضون بحياة الذل والهوان، وبالنسبة للإغريق في تلك الفترة كانوا يتوسطون أوروبا وآسيا فاجتمعت فيهم الصفات الحسنة لكلا الجنسين⁽⁷⁾.

أما أفلاطون وانطلاقا من كتابه (القوانين) فقد تطرق إلى عنصر الماء وما يعتره من تلوث بسبب الإنسان، هذا التلوث الذي بدوره يؤدي حتما إلى أمراض عديدة تصيب الإنسان، فوجب حماية الماء بواسطة قانون يحمي العنصر البيئي من جهة والعنصر البشري من جهة أخرى، وقد ظهرت عدة قوانين بيئية على هذه الشاكلة في ذلك العصر⁽⁸⁾.

وكذلك أستر أبون حين حاول تفسير عظمة وقوة مدينة روما اجتماعيا وسياسيا وحضاريا من خلال أثر تضاريس الأرض والمناخ والعلاقات المكانية لظهور هذه المدينة، فهو بذلك يربط قوة هذه المدينة وعظمتها بالتضاريس والمناخ⁽⁹⁾.

والملاحظ في كتاب الإغريق الرواد الأوائل لهذه النظرية اتفاقهم على أن الطبيعة أو البيئة هي المؤثر القوي على الإنسان في اكتساب الطبائع سواء الحسنة أو غير الحسنة، وحتى في اكتساب الدول للعظمة والقوة راجع إلى تضاريسها ومناخها، وقد دامت هذه الكتابات الوحيدة في التاريخ التي تناولت تفسير العلاقة بين البيئة والإنسان، إلى غاية القرن الرابع عشر ميلادي أين ظهرت كتابات ابن خلدون والتي أشهرها مقدمته التي تعتبر نموذجا علميا وتاريخيا ساعدت في ظهور عدة علوم أهمها علم الاجتماع وتطورت بفضلها عدة علوم أخرى أهمها الفلسفة والتاريخ والجغرافيا... الخ.

ويعتبر ابن خلدون أيضا من رواد الحتمية البيئية حين تحدث في مقدمته عن العمران البشري، ويذكر أن الربع الشمالي من الأرض أكثر عمراننا من الربع الجنوبي⁽¹⁰⁾، وقد كان في تقسيمه للأرض إلى أقاليم طبيعية طبقا للمناخ، قد كرر ما وصل إلى العرب من جغرافيا الإغريق، ولكنه انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن أثر المناخ في طبائع الشعوب، وأخلاق البشر، حيث جاء في المقدمة الرابعة أن خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب، فتجدهم مولعين بالرقص، متصفين بالحمق، ولما كان هؤلاء السودان يسكنون في الإقليم واستولى الحر على أمزجتهم وأصل تكوينهم، كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم، فتكون أرواحهم أشد حرا، وأكثر تقشيرا، فتكون أسرع فرحا وسرورا، وأكثر انبساطا، ويجيء الطيش على هذا الأثر، وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد البحرية توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد

التلال والجبال الباردة، كذلك تطرق ابن خلدون إلى موضوع نشأة المدن والأمصار ، وما يجب مراعاته في أوضاع المدن، وما يحدث إذا غفل عن تلك المراعاة أي ضرورة حمايتها بالأسوار، وتوخي الأماكن الطبيعية لذلك، وضرورة بعدها عن المستنقعات أو المياه الراكدة الفاسدة، وما يراعى في البلدان الساحلية التي على البحر⁽¹¹⁾.

وتطرق ابن خلدون أيضا إلى تأثير المكان على أحوال الناس وهذه الأحوال تتوزع بين الأحوال الثقافية والأحوال الاجتماعية والأحوال الشخصية فالأحوال الثقافية تشير للقيم والمعاني والمعايير فضلا عن الجانب المادي من الثقافة المتمثل في العمارة والتكنولوجيا وتشير الأحوال الاجتماعية إلى النظم الاجتماعية والجماعات البشرية والأدوار المختلفة وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تسود الجماعات الاجتماعية أما الأحوال الشخصية فتشير للميول والشعور بالانتماءات والرغبات الخاصة⁽¹²⁾.

"ويعتبر ابن خلدون أن الإقليم الرابع -ويقسمه إلى ثمانية أجزاء وتمثله اليوم قارة آسيا- أعدل العمران، والذي حافظه من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال، والذي يليهما الثاني والسادس أقرب إلى الاعتدال، والأول والسابع أبعد بكثير ، فلهذا كان سكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا أو دينا حتى النبؤات"⁽¹³⁾.

"ويذهب ابن خلدون إلى حد أبعد في أن للبيئة (الطبيعية) -حسب التقسيم الجغرافي للمعمورة في أقاليم- تأثيرا على التكوين العقلي للأفراد واكتمال تكوينهم الفكري والنضج العقلي لكي يتمكنوا من إدراك الحقيقة، وربط ذلك ببعثة الأنبياء إلى البشر، حيث يرى أن الأنبياء والرسول لا يبعثون إلا للأفراد الذين بلغ مستواهم العقلي ونضجهم الفكري درجة من العقلانية والإدراك المنطقي للأشياء والتميز والتصديق بحقائق الأنبياء على أسس موضوعية، ودرجة وسمو الإنسانية في تفكيرهم واستخدامها للعقل في استكشاف كنه الأشياء، ويقول في هذا الشأن: "إن الأنبياء والرسول إنما يختصمهم أكمل نوع في خلقهم، وأخلاقهم"، ويقول أيضا في شأن تأثير الأقاليم على السكان: "وأهل هذه الأقاليم أكمل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم، وملابسهم وأموالهم وصنائعهم، ويتخذون من البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة يتناغون في استجادة الآلات والمواعين، ويذهبون في ذلك إلى الغاية"⁽¹⁴⁾.

والمدقق في فكر ابن خلدون في ربطه طبائع الناس بالطبيعة يجده حدد وبدقة أكثر ممن سبقوه، كيفية تأثيرها على طبائع وأخلاق البشر، وأن كل إقليم وما يحتويه من طبيعة ومناخ، ينعكس ذلك على طبيعة ساكنيه وطبائعهم، فإذا كان حار كانت طبيعتهم وأرواحهم حارة تميل إلى اللهو والترف، وإذا الطبيعة عكس ذلك كانوا تبعاً لطبيعتهم في الأخلاق والطبائع، وفي تشخيصه الدقيق لهذا الانعكاس يعتبر أكثر تفصيلاً للحمية البيئية من الإغريق الذي سبقوه.

ثم ظهر في أوربا بعد ابن خلدون عدة مفكرين أمثال بودان من خلال كتابه "الجمهورية"، ومؤلفات مونتيسكييه ضمن كتابه "روح القوانين"، حيث تحدثوا عن تأثير الطبيعة والمناخ في الإنسان، واتخاذ البيئة مقياساً ووسيلة لمعرفة طبائع البشر.

فكتابات بودان التي ظهرت خلال القرن السادس عشر، أراد وانطلاقاً من كتابه "الجمهورية" أن يبرهن على أن شكل الجمهورية ينبغي أن يتطابق مع صفات البشر المختلفة والمتنوعة، ومن هنا بدأ يفصل في وسائل معرفة طبائع البشر، وكتب أن أهل الأقاليم المعتدلة المناخ على جانب أقوى من حيث الأخلاق من أهل الجنوب، وأن أهل الشمال وإن كانوا أقل مهارة في الصناعة إلا أنهم أذكى عقلاً من أهل الجنوب، وأنهم كالوحوش في قسوتهم، ولكنهم أنقى فؤادا وأسلم طوية، بينما أهل الجنوب مثل الثعالب يصرفون كيدهم لشفاء ما في صدورهم من غل وانتقام، ويرى أيضا أن أهل المنطقة المعتدلة هم فقط القادرون على الجدل المنطقي لأنه أمر أصعب من أن يصير عليه أهل الشمال، وأعمق من أن يفهمه أهل الجنوب الذين يريدون أن يروا علامة السماء أو معجزة إلهية حتى يقتنعوا⁽¹⁵⁾.

وقد جاءت أعمال مونتيسكييه بالنسبة لعلاقة البيئة بالإنسان وعمران المدن. في كتابه بعنوان "روح القوانين" فقد ذهب في مؤلفته هذا إلى أن الإنسان كائن فرد تقابله قوتان كبيرتان هما المناخ والأرض وقد استطرده مونتيسكييه في كتاباته إلى

أن للترية أثرها في النظم الفضائية للإنسان حيث أن جذب الأرض في نظره ساعد على إنشاء حكومة شعبية في حين أن خصوبتها ساعدت على إنشاء حكومة أرستقراطية، كما أنه أقام علامة بين المناخ والاستعداد والتحرر، حيث ارتبط المناخ الحار في نظره بالاستعداد والرق وارتبط المناخ البارد بالشجاعة (16).

وظل هذا شأن المفكرين والمؤرخين في تفسير العلاقة القائمة بين الإنسان والبيئة، واتفاقهم على تأثير الطبيعة في طبائع وسلوكيات البشر، وأخلاقهم وخلقهم تبعاً لأفاليهم ومناخهم وتضاريسهم، إلى أن برزت نظرية داروين في القرن التاسع عشر، ومن خلال الأفكار الواردة في كتابي "أصل الأنواع 1859" و "تطور الإنسان 1879"، حيث وجد فيهما الكثير من الباحثين والمجتهدين ضالتهن المفقودة، حيث أن هذه النظرية تعتبر -في نظرهم- تفسيراً علمياً دقيقاً لتطور الكائنات الحية وتوضيح العلاقة بين البيئة والكائن الحي على أنها علاقة ملائمة وتكيف تحتم على كل الكائنات أن تتلاءم مع البيئة وتتكيف مع ضرورياتها، بل أن البيئة في حد ذاتها تختار من الأفراد ما يتلاءم معها وتترك الفناء لغيرهم، والبقاء للأصلح.

ورغم أن نظرية داروين لاقت انتقاداً كبيراً، بل ثبت خطأها في كثير من الدراسات المعاصرة إلا أنها عرفت رواجاً كبيراً وتأثيراً واسعاً على تفكير عدد كبير من الباحثين البيئيين والجغرافيين، بل وحتى في مجال علم الاجتماع والأدب والأخلاق.

هذا بالنسبة للحميين القدامى، أما الحتمية الحديثة، والتي يتزعمها العالم والرحالة فريديريك راتزل والذي وضع أساس علم جديد هو "الجغرافيا البشرية" وهو عنوان مجلدين نشرهما عامي 1882م و 1891م، حيث درس من خلالها حياة البشر في مجالات نشاطاتهم المختلفة وفي مجتمعاتهم المتباينة.

ويعتبر راتزل من أشد المتحمسين للإيكولوجية البشرية الحديثة، وذلك لأنه تخلص من الانطباعات الشخصية في تحليله للعلاقة بين البيئة والإنسان، ومن الأحكام الذاتية وانتقل إلى للبحث بمنهجية موضوعية بإبراز أهمية الإنسان كعنصر بيئي قوي، وحتمية المؤثرات البيئية وأثرها على البشرية وتاريخ الإنسانية (17).

واهتم في دراسة العلاقة القائمة بين البيئة والإنسان من خلال ثلاث محددات وهي: كيفية توزيع السكان على سطح الأرض في أقاليم معينة، وكيفية تفسير هذا التوزيع تفسيراً بيئياً، وكيفية تأثير البيئة على المجتمع بصفة عامة. وفي كتابه الجغرافيا السياسية وجه اهتمامه إلى حياة المجتمعات السياسية، ودرس الدولة على ضوء علاقتها بالبيئة وأساسها الطبيعي الفيزيوجرافي بمعنى دراسة الدولة كما هي واقعة في مكانها (18).

ومن المعاصرين لراتزل أرنست هيغل المتأثر كثيراً بنظرية داروين، والذي اهتم بوضع أسس علم جديد سماه بعلم البيئة الدارس لتعاون الكائنات العضوية التي تعيش في بيئة واحدة وتلاؤمها مع هذه البيئة، والإنسان في نظره لم يكن سوى أحد الكائنات العضوية التي يجب دراستها وهو لا يختلف عن الكائنات الأخرى التي تحيط به في مقدار الخضوع للظروف البيئية.

وظهر اتجاه جديد يهتم بمعالجة المشاكل الاجتماعية ويخضع السلوك الاجتماعي لقوانين تشبه القوانين الطبيعية في حتميتها، وبذلك تكون الظواهر الاجتماعية مثل البطالة والانتحار ظواهر خاضعة لظروف اقتصادية لا يملك الإنسان السيطرة عليها، ولكنه أسير لتلك الظروف وبذلك ذهب المؤرخ الإنجليزي بكل إلى أن هناك علاقة وثيقة بين الإنسان والعالم الخارجي. علاقة تربط النشاط البشري بصورة من القوانين الطبيعية والتي تتمثل في الشكل العام بتضاريس المكان والتي تؤثر بشكل واضح في نظره في تكوين آراء الشعوب وعاداتهم المختلفة.

وذهب بعد ذلك ديمولاند إلى حد القول أن الإنسان لا يخلق بحريته الطراز الاجتماعي ولكن الطراز الاجتماعي يخلق عن طريق الطبيعة، مثال ذلك أن الإنسان لا يخلق مناطق "الإستبس" الرعوية ولكن عن طريق هذه المنظمة وجد الطراز الاجتماعي الرعوي في مناطق الإستبس.

أما تلميذة راتزل مس الين سمبل فقد تطرقت إلى أثر العوامل البيئية على الإنسان ونظمه، وهذه العوامل البيئية تتمثل في جوانب ثلاثة أولها: في العوامل ذات التأثير المباشر على الإنسان مثل المناخ وملائمة الإنسان لظروفه ولون بشرته، وعوامل بيئية ذات تأثير غير ملائم مثل الموقع الجغرافي وعامل القرب من مراكز الحضارة وعامل العزلة البيئية فهي تؤدي إما إلى تقدم الإنسان الحضاري أو تأخره، والعامل الثالث يتمثل في تلك العوامل البيئية التي تؤثر في النمو الاقتصادي والاجتماعي للإنسان بمعنى أن البيئة تؤثر على الإنتاج الزراعي وبالتالي تؤثر على غناء أو فقر الإقليم⁽¹⁹⁾.

كذلك برز فيكتور كزن والذي تتلخص أفكاره واستنتاجاته في تفسير العلاقة القائمة بين البيئة والإنسان في عبارته المشهورة التالية: "أعطني خريطة لدولة ما، ومعلومات وافية عن موقعها ومناخها ومائها ومظاهرها الطبيعية الأخرى ومواردها، وبإمكاني في ضوء ذلك ان احدد لك اي نوع من الانسان يمكن ان يعيش في هذه الأرض، واي دولة يمكن ان تنشأ عليها، وأي دور يمكن ان تمثله هذه الدولة في التاريخ".

والإقرار بأهمية البيئة الطبيعية في حياة الإنسان في مأكله وملبسه ومسكنه وعمله - خاصة بالمقارنة بين سكان السهول والجبال والصحارى- فيه نوع من الصحة، إلا أن المغالاة في إعطاء البيئة كل هذا الوزن وتجاهل الجهد البشري والاختيار الإنساني هو ما لا يقر به، خاصة وأن الحتميين لا يلجأون إلى البيئة الطبيعية غالباً إلا لتفسير ما عجزوا عن تفسيره من اختلافات جوهرية بين الشعوب بالمنطق أو الدراسة العلمية، ولذلك كانت العموميات هي الغالبة على كتاباتهم وأحكامهم التي تدخل فيها النواحي الشخصية في أغلب الأحيان، سواء في ذلك الكتابات القديمة أو الحديثة باستثناءات قليلة⁽²⁰⁾.

هذه هي الأفكار الرئيسية لمدرسة الحتمية البيئية وهؤلاء هم أبرز مفكريها، وركيزة أفكارهم أن الإنسان في حياته مسير لا مخير، تتحدد طباعه انطلاقاً من حتمية بيولوجية أو جغرافية تجعله يستسلم ويسلم بواقعه، وقد لقيت هذه المدرسة عدة انتقادات، أهمها غلوها غلوا شديداً في تغليب كفة الطبيعة على الإنسان، وعدم منطقيتها في تفسير تطور البشر واكتساب طبائعهم حيث أن البيئة ليست العنصر الوحيد والفعال في اكتساب الناس لطبائعهم وطبعهم، بل هناك عدة عوامل تشترك في تكوين خلق وخلائق الأفراد، بالإضافة إلى أن التاريخ أثبت تشابه حضارات الشعوب وأخلاقهم وسلوكياتهم رغم اختلاف بيئاتهم وتضاريسهم ومناخهم، وأغفلت كذلك هذه المدرسة قدرة الإنسان بعقله وفكره والتطور التكنولوجي الذي بفضل استطاق التأقلم مع الظروف الطبيعية والبيئية والتعايش معها، بل والسيطرة عليها وتطويعها في كثير من الأحيان.

2- المدرسة الاختيارية أو الإمكانية:

نتيجة الانتقادات الموجهة لمدرسة الحتمية البيئية، ومبالغتها في تفسير العلاقة بين البيئة والإنسان، وتغليبها للطبيعة على القدرة الإنسانية وما أوتي هذا الكائن من قوة وعقل، ظهرت مدرسة موازية سميت بالمدرسة الاختيارية أو الإمكانية، مخالفة بأفكار روادها ما ذهبت إليه المدرسة الحتمية. محاولة تفسير العلاقة بين الإنسان والبيئة بنظرة مخالفة ومنطقية.

وإن الجغرافيا الاجتماعية علم طموح يحاول أن يفسر تكوين المجتمعات البشرية كلها من أبسطها حتى أشدها تعقيداً، وأن المرء إذا استمع إلى الجغرافيين ليخيل إليه أن جميع العلوم الاجتماعية طوع أمرهم من خلال الربط بين الجغرافيا والمجتمع، وقد لفت دوركايم الانظار إلى ضرورة دراسة المجتمعات البشرية على أساس اجتماعي فإنه لا ريب فيه أنه لا يمكن فهم المجتمعات البشرية دون الأساس الجغرافي الذي نعيش عليه، إن علم المورفولوجيا الاجتماعية يوجه اهتمامه إلى المجتمع من حيث تكوينه، عدد سكانه وعلاقتهم بالبيئة، ولكنه يهتم أولاً بالمجتمع، ومنهج دراسته اجتماعي، أما الجغرافية فهي تهتم أولاً بالمكان أي البيئة وعلاقة الإنسان أو المجتمع بهذه البيئة، وإلى جانب المورفولوجيا الاجتماعية، نشأت في هذا الوقت أيضاً مدرسة جغرافية في فرنسا، لا تسلم بحتمية البيئة، ولا بطغيانها القاسي على الإنسان والمجتمع، ولكنها تعترف بالحرية الإنسانية، وتعطي للظروف البشرية والاجتماعية أهميتها في الاستجابة للظروف البيئية. وتعرف هذه المدرسة بالمدرسة الإمكانية⁽²¹⁾.

وأساس هذه المدرسة وركيزتها العلمية أن الإنسان غير خاضع تماما وكليا لمؤثرات الطبيعة وضوابط البيئة، وإنما قادر على التغيير والتطوير والتأقلم، من خلال الاختيارات التي تقدمها له البيئة الطبيعية، والتي يختار منها ما يتناسب ويتلاءم مع قدراته وطموحاته وأهدافه، فهو بذلك يحاول السيطرة على الطبيعة، بتطويعها وتعديلها وتغييرها وفقا لمشيئته، وتؤمن هذه المدرسة بحرية الإنسان في الاختيار، فالبيئة لا تحتوي على ضروريات أو حتميات فقط، وإنما تقدم للإنسان عددا من الاختيارات. وهو بذلك يعتبر قوة إيجابية فعالة على تهيئة مطالبه وتعديلها واختيارها أنسبها وتوافقها مع طبيعته وميولاته، وعلى هذا الأساس فليست هناك حتمية مطلقة وصارمة بل هناك إمكانية واختيار ومرونة (22).

المتأمل في أساس وركيزة هذه المدرسة في تفسير العلاقة القائمة بين الإنسان والبيئة، يجدها منحت الفرصة للإنسان باعتباره كائنا مفكرا وعدم إقصائه في التعامل والتعاطي مع الطبيعة كما ذهب إليه المدرسة الحتمية، واعتبرت الإنسان بقدرته وتفكيره عنصرا إيجابيا مع البيئة لا سلبيا، يستطيع بما منحه الخالق من عقل وتدبر مساندة الطبيعة ومعايشتها وعدم الخضوع لها كلية، وإنما محاولة تطويعها ولو جزئيا، وعدم منحها الفرصة كلية لرسم طائعهم وطبعه مثلما ذهب إليه الحتمية البيئية.

وازدهرت أفكار هذه المدرسة في بداية القرن العشرين، وارتبطت أفكارها بقدرة الإنسان في التأثير على البيئة الطبيعية، ومع وجود تقدم ملحوظ في التصنيع وإنتاج الأدوات والآلات واستغلال هذه المنتجات في تمكين الإنسان من العيش في كافة الظروف البيئية، كالعيش في المناطق الباردة جدا مثل آلاسكا، أو العيش في المناطق الحارة جدا، مثل الربع الخالي في الجزيرة العربية، بالإضافة إلى أن الإنسان هو الذي يحدد نمط استغلاله لموارد الطبيعة، ومظاهر العمران المختلفة، والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي أدى إلى التأثير في البيئة بشكل فعال، يدعم فكر هذه المدرسة التي تؤكد دور الإنسان في رسم علاقة مميزة بالبيئة الطبيعية (23).

ويرجع الفضل للمدرسة الجغرافية الفرنسية في ظهور مبدأ الإمكانية، ويعتبر **فيدال دي لا بلاش** من أشهر مؤسسيها، ويرى من خلال أفكاره ومساهماته في هذه المدرسة أن للإنسان دور كبير في تعديل بيئته وتثبيتها وفقا لمتطلباته واحتياجاته، ويصف البيئة بأنها إنسانية وليست طبيعية، ينبغي دراستها على أساس تاريخي من خلال تحليل جهود الإنسان في علاقاته مع البيئة عبر التاريخ، ويرى التنوع في عناصرها حيث يختار ما يتلاءم منها حسب مهاراته الآلية واليدوية، فالعامل الحاسم هنا هو قدرات الإنسان وإمكانياته التي ظهرت في إقامة الجسور والسدود وشق الأنفاق الجبلية وغيرها، وخير مثال على هذه القدرات الإنسانية الحضارة المصرية القديمة من خلال إقامة الجسور ومشروعات الري وبناء السد العالي وغيرها من الحضارات الإنسانية الأخرى في بلاد السودان والحبشة (24).

كذلك **لوسيان فيفر** و**إسحق بومان** من رواد هذه المدرسة، حيث يرى العالم أن مظاهر البيئة هي من فعل الإنسان مثل حقول الشعير ومزارع الأرز والقطن وقصب السكر وغيرها، وأن الإنسان هو الذي نظم الحقول وأقام القناطر والسدود وشق الترع والمصارف، وابتكر أساليب وأدوات زراعية جديدة لزيادة رقعة الأرض التي يزرعها، ولا يقتصر الأمر على الزراعة وإنما يمتد للصناعة التي ترتبط إلى حد كبير بتوفير المادة الخام في بيئتها والتي بدورها تتطلب توفير المهارات وسبل المواصلات والمال والأسواق والتي واقعا تعتمد على مقومات بشرية أكثر من مقومات بيئية حيث أن المهارة والتكنولوجيا تتصل بالتواجد البشري، وعن مواقع المدن واختيار مواقعها كانت من الأدلة التي استند إليها أصحاب هذه النظرية لتأييد نظرية الاختيارية وتحكم الإنسان في البيئة وليس لمجرد تواجدها الطبيعي فالمدن الدينية والحربية سواء من أجل عوامل ثقافية كالتدين أو عوامل أمنية كالحماية، كما أن التوزيع السكاني لأي مدينة في العالم يرجع إلى عوامل اجتماعية وثقافية وبشرية إلى جانب العوامل الطبيعية، ويصل هذا التأثير إلى الحيوان فنجد عدم وجود بعض الحيوانات في بعض البلدان وتوفرها بكثرة في بلدان أخرى مثل البقرة في الهند التي يحرم ذبحها لتقديسها (25).

ومن أتباع المدرسة الاحتمالية في بريطانيا فلير وفي الولايات المتحدة الأمريكية كارل ساور، وقد أثرت المدرسة الأمريكية في ظهور عدد من المصطلحات التي شاع استخدامها في المؤلفات الجغرافيا مثل المظهر الطبيعي ويشمل كل العناصر الطبيعية، والمظهر البشري الذي يشمل أعمال الإنسان وآثاره، وعلى الرغم من اعتراف الإمكانين بسيادة الإنسان وسيطرته على الممتلكات، إلا أنه لا يملك الحرية الكاملة في تغيير بيئته، حيث أنها ما زالت تضع أمامه حدوداً لم يستطع تجاوزها، فقلة الأمطار وندرة المياه لا تيسر قيام حياة الاستقرار، ولكنها تدفع بالجامعات البشرية إلى حياة الظن الارتجال، كما أن الإنسان البدائي يتأثر ببيئته الطبيعية أكثر من تأثر الإنسان المتحضر الذي لديه القدرة على الابتكار والتقليد، وتطبيق ما تعلم في حياته العملية⁽²⁶⁾.

والجدير بالملاحظة حول هذه المدرسة أن روادها كانوا أكثر حذراً من الحتميين في معالجة العلاقة القائمة بين البيئة والإنسان، وأكدوا على الوحدة الجغرافيا والاختلاف البشري، ويؤخذ على توجهات هذه المدرسة أن الإنسان لم يسيطر سيطرة كاملة على الطبيعة، بل هناك ظواهر طبيعية تفوق قدرته العقلية ولا زالت تؤرقه إلى يومنا هذا رغم ما توصل إليه من تطور علمي وتكنولوجي، ورغم ذلك فإن هذه المدرسة تعتبر أكثر منطقية من الحتمية في إعطائها فرصة للإنسان وما يتميز به من عقل لمسيرة الطبيعة والتأقلم معها.

3- المدرسة الاحتمالية أو التوافقية:

وتقوم هذه النظرية بدور الوساطة بين كل من أنصار الحتمية والاختيارية (الإمكانية) للصراع الذي دار بينهما، وكان لابد من ظهور نظرية ثالثة جديدة تحاول التوفيق بين الآراء المختلفة لذا يطلق عليها اسم "النظرية التوافقية" أو "الاحتمالية"، وهي لا تؤمن بالحتمية المطلقة أو الإمكانية المطلقة وإنما تؤمن بدور الإنسان والبيئة وتأثير كل منهما على الآخر بشكل متغير فتغلب على بعض البيئات تعاضم تأثير الطبيعة وسلبية تأثير الإنسان عليها ويكون العكس في بعض البيئات الأخرى، واعتمد أصحاب هذه النظرية في تفسيرها على تصنيف نوعية البيئة من ناحية، ونوعية الإنسان من ناحية أخرى، حيث يتفاعلان الاثنان سوياً ليشكلا جوهر العلاقة بين الإنسان والبيئة، وحددت تنوع طرفي العلاقة على النحو التالي⁽²⁷⁾:

-الطرف الأول: البيئة

بيئة صعبة X ————— بيئة سهلة X

فالبيئة الصعبة تحتاج إلى مجهود كبير من جانب الإنسان للتكيف معها، بينما الطرف الآخر المتمثل في البيئة السهلة فهي تستجيب لأقل مجهود. ويقع بين طرفي هاتين البيئتين بيئات أخرى متفاوتة من حيث درجة الصعوبة فكما اتجهنا ناحية اليمين يتعاضم دور البيئة وكما اتجهنا شمالاً يقل.

-الطرف الثاني: الإنسان

إنسان إيجابي X ————— إنسان سلبي X

فالإنسان الإيجابي هو الذي يتفاعل مع البيئة بشكل كبير لتحقيق طموحاته وإشباع احتياجاته، أما الإنسان السلبي فهو إنسان محدود القدرات والمهارات ودوره محدود بالمقارنة بالإنسان الإيجابي ويقع بين هذين الطرفين مجموعات بشرية مختلفة في المهارات والقدرات وفي التأثير على البيئة.

ومن ثم فإن هذه النظرية أكثر واقعية لأنها توضح أشكال عديدة للعلاقة بين الإنسان وبيئته دون أن تميز إحدى أطراف هذه العلاقة دون غيره، وتتمثل هذه العلاقة في التنوع الذي يتضح بالشكل التالي:

بيئة صعبة + إنسان سلبي = حتمية بيئية

بيئة سهلة + إنسان سلبي = إمكانية

بيئة صعبة + إنسان إيجابي = توافقية

بيئة سهلة + إنسان سلبي = توافقية

وقد اقترب فكر المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي من هذه النظرية والتي تحدد علاقة الإنسان والبيئة في أربع استجابات مختلفة وهي (28):

1- استجابة سلبية: تخلف الإنسان علمياً وحضارياً مما يجعله غير قادر على الاستفادة من بيئته أو أن يؤثر بشكل فعال عليها.

2- استجابة التأقلم: تكون البيئة هي المسيطرة عليه في هذه الاستجابة مع توافر بعض المهارات للإنسان التي تمكنه من التأقلم نسبياً مع ظروفها الطبيعية.

3- استجابة إيجابية: نجاح الإنسان في تطويع البيئة بما يتناسب مع رغباته واحتياجاته، ويستطيع من خلال مهاراته الإيجابية هذه أن يتغلب على أية معوقات وإن كانت بيئة صعبة.

4- استجابة إبداعية: وهي أرقى أنواع الاستجابات على الإطلاق، فلا يقف الأمر على كون الإنسان إيجابياً وإنما مبدعاً يعرف كيف يستفيد من بيئته ليس بالتغلب على الصعوبة وحلها، وإنما بابتكار أشياء تفيده في مجالات أخرى عديدة.

وتعتبر هذه المدرسة وانطلاقاً من تسميتها قد وفقت إلى حد كبير في تفسير العلاقة القائمة بين البيئة والإنسان، فهي لم تغلب الطبيعة على الإنسان وتقصيه إقصاء تاماً، ولم ترجح كفة الإنسان على الطبيعة، بل حاولت التوفيق بين الرأيين، وتفسير العلاقة بين البيئة والإنسان بصورة متوازنة، وهي تقترب من الواقعية في تصورهما لثنائية البيئة والإنسان وتشكيل المجتمعات، وانطلاقاً من هذه الفكرة فإن تفاعل الإنسان مع الطبيعة ليس بالضرورة خاضع لحتمية مطلقة، أو إمكانية مطلقة، بل يتحدد وفقاً لمدى صعوبة البيئة من جهة وقدرة الإنسان على التكيف والتعايش من جهة أخرى، بمعنى تبادل الأدوار بين البيئة والإنسان.

وينبغي النظر إلى الإنسان كعامل مؤثر، يختلف مدى تأثيره وتأثره باختلاف ظروف البيئة، بمعنى أن الإنسان في بيئته الاجتماعية البدائية البسيطة، تكون البيئية الطبيعية هي المسيطرة عليه ويخضع في كل أعماله للظروف المحيطة به، وحينما يتقدم بالتدرج في بيئته الاجتماعية، تضعف الصلات التي تربطه بالبيئة الطبيعية، ويقل أثر عواملها فيه، وهذا التحلل من قيود البيئة لا يجري بصورة واحدة في بيئات العالم المختلفة بسبب اختلاف خصائص كل بيئة، ذلك أن تقدم الإنسان في مدارج الحضارة مرتبط بمدى سخاء البيئة وغناها أو فقرها، وهذا صحيح إلى حد بعيد، ولكن لا بد لنا أن نضيف أنه بجانب توفر الموارد المادية الضرورية يجب أن يرافق ذلك توفر العنصر المعنوي المتمثل في الاستقرار والأمن الاجتماعي الذي يمكن الحياة من السير والتقدم المستقر من دون أي تهديد (29).

المحور الثاني / الاتجاهات السوسيولوجية لدراسة القضايا البيئية:

تم التطرق في المحور السابق إلى أهم المدارس الكبرى المحددة للعلاقة بين البيئة والإنسان والمجتمعات البشرية، وخلصنا إلى أن الاهتمام بهذه العلاقة قديم قدم البشرية، فقد تناوله الإغريق ومن تبعهم من مفكرين وفلاسفة وما تلاهم من حضارات تأثرت بحضارتهم، وتواصل هذا الاهتمام في العصور الوسطى وأصبح جلياً وذو حدة كبيرة في عصرنا الحالي، وتبين حسب الآراء المختلفة لهذه المدارس وما توصلت إليه من تفسيرات إلى أن هناك علاقة وطيدة بين الإنسان والبيئة كل حسب منظوره وتحليلاته، وطغى على هذه الدراسات والأبحاث تخصص الجغرافيا البشرية الذي هيمن على مختلف الدراسات

البيئية وانعكاساتها على المجتمعات البشرية بحكم أن الجغرافيا هو التخصص الدقيق لدراسة القضايا البيئية، لأن البيئة وقبل كل شيء تتحدد عناصرها انطلاقاً من المجال الجغرافي والمكاني وما يحتويه من تضاريس ومناخ ونباتات وتربة.... الخ.

ونتيجة للتغيرات التكنولوجية والاجتماعية وعلاقتها بظهور المشكلات البيئية، وضرورة العمل على إقرار علاقة متوازنة بين الإنسان والبيئة، نشأ ما يصطلح عليه بعلم الاجتماع البيئي، ورغم أن هذا الميدان البحثي قد يبدو جديداً على البحث السوسيولوجي، ولم يستخدم هذا المصطلح إلا منذ عقد من الزمن تقريباً، إلا أن علم الاجتماع كمجال بحثي عام وكنظام معرفي ومنذ نشأته تضمن المحددات البيئية للسلوك، فقد أشار **دانكان** إلى أن **ابن خلدون** قد بحث في أهمية العلاقة بين التنظيم الاجتماعي وأشكاله من جهة، وظروف المعيشة من جهة أخرى، فالبيئة الجغرافية تؤثر في تشكيل البناء الاجتماعي الثقافي للمجتمع، وقد بين **ابن خلدون** في مقدمته ارتباط العناصر وتكامل علاقاتها، كالارتباط التسلسلي بين المواد والأحياء، والتي تشكل شبكة تقوم على الاعتمادية والتكامل، وكذلك اهتم المختصون في علم الاجتماع الريفي مثل **دانتلوب** و**كاتون** بدراسة وفهم استخدامات الأرض والنشاطات المختلفة، وبموضوعات أخرى لها علاقة بعلم الاجتماع البيئي، فهم أول من استجاب للمشكلات البيئية من وجهة نظر اجتماعية⁽³⁰⁾.

ونستطيع أن نلتزم بعض الجوانب المهمة للمدخل البيئي في كتابات **ايميل دوركايم** في دراسته للمجتمع، فقد عد المورفولوجيا الاجتماعية أحد الفروع الأساسية التي ينقسم إليها العلم، ومن ثم قسمها إلى مبحثين رئيسيين؛ هما دراسة الأساس البيئي للتنظيم الاجتماعي من ناحية، ودراسة الظواهر السكانية كالكتافة والحجم والتوزيع المكاني من ناحية أخرى، وجاءت دراسة **فريدريك لبلاي (1701-1772)** عن أصول الأسرة وميزانيتها بين البيئة وشكل نمط الأسرة التي تتأثر دوماً بأشكال النشاط الاقتصادي السائد، أما **هربرت سبنسر (1820-1903)** فقد مثلت أعماله مرحلة متطورة في الايكولوجيا البشرية ونظر إلى الكائن الحي والمجتمع على أساس التفاعل بين كل منهما والبيئة التي يوجد فيها، واتضح اهتمامات **ليستر** و**ارد (1841-1913)** في البيئة حينما ميز في النسق الاجتماعي بين النشأة والتطور التلقائي للبناءات والوظائف الاجتماعية وبين العمل الإصلاحية المقصود والواعي، أما **روبرت بارك (1864-1944)** فقد برز اهتمامه من خلال مقال بعنوان المدينة، وعمله المشترك مع **أرنست برجس** الذي ركز فيه على عدد من المفاهيم السوسيولوجية والايكولوجية كالتفاعل الاجتماعي، الاتصال، العمليات الاجتماعية، التنافس، التعاون، الصراع... الخ، وهذه المفاهيم هي من مهد وهياً لظهور ونشأة علم الاجتماع البيئي⁽³¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن استخدام مفهوم البيئة في الدراسات السوسيولوجية، لم ينل الاهتمام المطلوب على خلاف الدراسات السيكولوجية والاقتصادية والإعلامية، ويرجع ذلك إلى امتلاك علم الاجتماع لعدد كبير من المفاهيم المحددة والتي يحتويها مفهوم البيئية سواء كانت البيئة الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها⁽³²⁾. غير أن علم كمنظمة معرفي يتضمن القضايا البيئية تطرق علماءه الأوائل **كاميل دوركايم** و**كارل ماركس** و**ماكس فيبر**، حيث انطوت أعمالهم ولو ضمناً على البعد البيئي، وتظهر أولى مظاهر هذا الاهتمام بالبيئة في تحليلات الأفكار الداروينية الاجتماعية وتصوراتها المختلفة لفكرة الطبيعة الحيوانية واستمرار أفضل الأنواع والسلالات بفضل سيطرتها وتكيفها مع البيئة الإيكولوجية⁽³³⁾.

يتضح إذن أن الاهتمام بالقضايا البيئية اهتمام قديم، ولكنه لم يتبلور كعلم ضمن العلوم الاجتماعية وكفرع وتخصص ضمن علم الاجتماع إلا في النصف الثاني من القرن الماضي، خاصة أثناء بروز المشاكل البيئية بحدة كبيرة مما أثار قلق الباحثين والعلماء، وصار موضوع البيئية يدرس في شتى التخصصات والفروع العلمية لما له من علاقة كبيرة ووطيدة بالإنسان وحياته، وما يسببه التدهور البيئي من أمراض نفسية وجسدية وإضرار بالحيط البشري مما استدعى الاهتمام أكثر بالمسائل البيئية في جميع التخصصات العلمية.

وقد استفاد علماء الاجتماع البيئي المحدثين أمثال شنايبرغ من كتابات اميل دوركايم، وخاصة كتابه "تقسيم العمل في المجتمع"، حيث ربط بين درجة تعقد البناء الاجتماعي بالكثافة السكانية وندرة الموارد والعمليات الاجتماعية، فالزيادة السكانية ضمن موارد محدودة أو نادرة تؤدي إلى عمليات التنافس والصراع، مما قد يؤدي إلى استنزاف للموارد وتعاضم المشكلات الاجتماعية، وكذلك من العلماء الذين تأثروا بكتابات دوركايم العالم روبرت بارك و إيرنست برجس وعلماء اجتماع آخرون، قاموا بتطوير الايكولوجيا البشرية في جامعة شيكاغو ، وقد ركزوا في أبحاثهم على نقطتين أساسيتين هما(34):

- التماثل الموجود بين التنظيم في المجتمعات الإنسانية والتنظيم في المجتمعات غير الإنسانية.

- التوزيع المكاني للسكان، ومكان السكن، والحركة اليومية، بالإضافة إلى التغيير في التنظيم السكاني للمجتمعات المحلية، وارتباط هذه الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية وتطورها.

وبينما اعترف علماء الايكولوجيا البشرية بأهمية علاقة البيئة بتنظيم الحياة الاجتماعية، إلا أنهم لم يدرسوها بالتفصيل، وإهمال الاقتران بالثقافة والقيم، مما جعل الاستفادة من هذا العلم محدودة جدا خاصة في مجال علم الاجتماع البيئي.

يتبين من خلال ما سبق أن دراسة العلاقة القائمة بين البيئة والمجتمع، استحوذت على اهتمام عدد كبير من علماء الاجتماع بداية بابن خلدون و اميل دوركايم وماكس فيبر و كارل ماركس ومدرسة شيكاغو، وعلماء علم الاجتماع الريفي وغيرهم، وكل منهم فسر هذه العلاقة من منظوره وتصوره الخاص، وعلى العموم وانطلاقاً من آرائهم وأفكارهم فقد أخذ علم الاجتماع البيئي يتبلور كعلم بداية من النصف الثاني من القرن الماضي بناء على ما توصل إليه هؤلاء المفكرين من آراء وأفكار واستنتاجات تستحق أن تجمع وتصنف ضمن علم قائم في حد ذاته وتخصص ضمن تخصصات علم الاجتماع العام، ولذلك ظهرت عدة اتجاهات انطلاقاً مما كتب في هذا المجال تحاول وضع قاعدة نظرية وركيزة علمية لهذا العلم، من بين هذه الاتجاهات، الاتجاه المحافظ (الوظيفي)، الاتجاه الليبرالي، الاتجاه الراديكالي(الصراع)، النموذج البيئي الجديد.

1-الاتجاه المحافظ (التوجه الوظيفي):

هذا الاتجاه أو النمط هو امتداد لفكر اميل دوركايم، ويتمحور حول أن المشكلات البيئية المعاصرة هي نتيجة لعملية التصنيع، فرغم أن التقدم التقني والصناعي ساعد المجتمعات على أداء وظائفها بسهولة وتحقيق منافع الرخاء والوفرة، إلا أنه أفرز آثار جانبية تعد عرضاً من أعراض سوء الوظيفة في المجتمع، أبرزها التلوث وإسراف للموارد مما أدى إلى التدهور البيئي، بمعنى أن الأزمة البيئية عرض من أعراض الاختلال الوظيفي الذي يصيب التنظيم الاجتماعي من جراء السعي وراء النمو الصناعي والاقتصادي والمزيد من الثراء والربح، وهناك من الباحثين من ركز على العلاقة بين الأزمة البيئية وسوء التنظيم الاجتماعي، كما تذهب إليه النظرية الوظيفية في بلورة المشكلات البيئية في مختلف أبعادها، وأن الأزمة البيئية ومشكلاتها لا تتشكل إلا في إطار اجتماعي يتسم بسوء التنظيم(35)،بالإضافة إلى اعتبار أن القيم وتغيرها العامل الأساسي في توجيه المجتمعات نحو الانحدار البيئي، وينقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى فئتين(36):

- الأولى؛ ويرى مؤيدوها أن ظهور المشاكل البيئية في المجتمعات الغربية ارتبط بتغيير نسق القيم، الذي أدى إلى ظهور قيم الفردية والعالمية والإنجاز في المجتمعات الصناعية، وقد جلب هذا التغيير في النسق القيمي اختلافات في البناء الاجتماعي ومنافع مرافقة مثل الديمقراطية والمادية والرخاء، إن الرخاء والوفرة والتباين البنائي تعتبر هنا قيماً إيجابية وظيفية مقبولة. وقد ارتبطت هذه القيم بالنمو الاقتصادي فأصبحت بمثابة الوقود الذي زود المجتمعات الصناعية بالدوافع والحوافز للنمو المتصاعد، الأمر الذي أغفل بحث نتائج هذا النمو، وجعل السيطرة عليه أمراً صعباً، إن أصحاب هذا الاتجاه ينظرون إلى هذه القيم من خلال ما تحقق من نمو اقتصادي في الوقت الذي يغضون فيه الطرف عن نتائجها البيئية، داعين إلى نوع من الموازنة بين وجودها والمسائل البيئية.

- الثانية؛ يهتم أصحابها بطبيعة المجتمع الصناعي وبالتصنيع، حيث يرون إن المجتمعات الصناعية -سواء الرأسمالية أو الاشتراكية- تستخدم تكنولوجيا تؤدي إلى تلوث بيئي، وذلك بإلقاءها الفضلات الصناعية التي تلوث الماء والهواء. وبما أن تغير القيم يؤدي إلى تقسيم معقد في العمل، تتصف به المجتمعات الصناعية، فإن هذه العناصر الثقافية لابد أن تعتبر السبب الرئيسي في انحدار البيئة الناتج عن الصناعة، وقد ربط أنصار هذا الاتجاه بين النمو الاقتصادي ومستوى المعيشة، وبناء عليه، فهم لا يقدمون حلاً بيئياً من شأنها أن تؤثر على القاعدة الصناعية للمجتمعات الغربية.

ومنه فإن حل الأزمة البيئية يتطلب تغيرات شاملة في النسق القيمي، كما يحتاج إلى إعادة تنظيم المجتمع، حيث أنه لا يمكن إيجاد مجتمع عادل بيئياً واجتماعياً، خاصة عندما تكون الحياة الاجتماعية واقعة تحت تأثير قوى النمو الاقتصادي ومعايير الرفاهية، ويؤكدون على أن الإصلاح التقني في المجتمع الصناعي ضروري غير أنه يكون فاعلاً عندما يصاحب بتغيير قيمي (37).

يعتبر هذا الاتجاه معبراً عن واقع الدول الصناعية الكبرى في تلك الحقبة الزمنية خاصة بداية الثورة الصناعية وتطورها فيما بعد، فنتيجة للتطور الصناعي المستنزف للموارد الطبيعية والمواد الأولية وما يتطلبه من إنشاء لمصانع كبرى، ظهرت مشاكل بيئية كبيرة لم تعرفها البشرية من قبل، كالتلوث بكل أشكاله الهوائي والمائي، وكثرة النفايات الصناعية... الخ، وبذلك فإن رواد هذه التوجه فسروا المشكلة البيئية انطلاقاً من واقعهم المعاش، فهم حددوا السبب الرئيس للمشكلة البيئية بالتصنيع الذي يعتبر قيمة من القيم الاجتماعية والاقتصادية المصاحبة للثورة الصناعية خاصة في المجتمعات الرأسمالية، وعلى العموم فإن أصحاب هذا التوجه قدموا تفسيرات اجتماعية انطلاقاً من تغير القيم وحلوا الأزمة البيئية وربطها بالصناعة ولم يقدموا حلاً لهذه الأزمة.

2-الاتجاه الليبرالي*:

استمد هذا الاتجاه من أفكار وآراء المفكر الاجتماعي ماكس فيبر، ويرتكز على القوة والهيمنة لتوضيح المشاكل البيئية، وهناك وجهتا نظر أساسيتان في الاتجاه الليبرالي:

- الأولى: يرى أصحابها أن الحكومة والنسق القانوني تهيمن عليهما جماعات ليس لديها اهتمام بالبيئة، وليس لهذه الجماعات من هم سوى زيادة أرباحها والمنافع التي تؤدي إلي اتساع مجالات قوتها ونفوذها، ويركز المنظرون الليبراليون على الشركات والمؤسسات التجارية والصناعية الضخمة، ذلك لأنها تستطيع القيام بعمليات ضبط للقرارات التي تتخذ في المناطق أو المقاطعات بما يتناسب ومصالحها، حيث تنظر هذه الشركات إلى البيئة على أنها وسيلة لزيادة أرباحها وتوسعها، وهي لذلك تقاوم إعادة التشكيل البيئي، وهذا الرفض يزيد من تفاقم المشاكل البيئية (38).

- الثانية: أن أصحاب هذا الاتجاه في تحليلهم للمشكلات البيئية يرون أن المستفيدين من الانحدر والاستنزاف البيئي يستخدمون وسائل الإقناع الجمعي -الإعلام -وإعطاء صفة الشرعية لأهدافهم وأعمالهم، كما يقومون أيضاً بإقناع الناس بواسطة الإعلام، بزيادة الاستهلاك، وبأن الاقتصاد الدائم النمو، أفضل وسيلة لرفع مستوى المعيشة. وهكذا فإن استغلال الرموز الثقافية لإعطاء صفة شرعية للتنظيمات الاقتصادية في المجتمع، هو ميكانيزم حرج وحساس في تطور المشكلات البيئية وتفاقمها، ويكمن الحل الوحيد في رأي الليبراليين، بوجود تضافر جهود المهتمين بالبيئة كالحركات البيئية لإزاحة القوة السياسية والهيمنة الكبيرة التي تمتلكها الشركات (39).

الملاحظ على هذا التوجه في تفسيره للعلاقة القائمة بين المجتمع والبيئة أن المشكلات البيئية أساسها الأول والأخير يتمثل في أصحاب المصالح والجماعات غير المهتمة بالسلامة البيئية، المتغلطة داخل السلطة والحكومة، والتي همها الوحيد زيادة الأرباح واستنزاف الثروات من جهة، ومن جهة أخرى الإقناع الجمعي بواسطة الإعلام القائم على الاتصال والإعلان بأن

الاستهلاك والاقتصاد الدائم النمو أفضل وسيلة لرفع مستوى المعيشة، وهم بذلك يربطون بين تحسين ظروف المعيشة ومستواها وبين النمو الاقتصادي وزيادة الإنتاج على حساب البيئة ومواردها، وبالتالي فإن تفادي هذه الأزمة يكمن في تفعيل دور المجتمع المدني والجمعيات البيئية وكل الأطراف المهتمة بالبيئة للإطاحة بالقوى السياسية ذات هذا التوجه والوقوف في وجه الشركات الكبرى التي تسعى إلى تحقيق أهدافها وأرباحها على حساب البيئة.

3- الاتجاه الراديكالي* (توجه الصراع):

يقدم النمط الراديكالي المستمد من فكر كارل ماركس تحليلاً لأسباب استنزاف البيئة، فيرى أصحاب هذا الاتجاه ان المشاكل البيئية، ظهرت نتيجة اللاعقلانية المتوارثة في نماذج الإنتاج الرأسمالية. وأن من المتعارف عليه أن التوسع الاقتصادي هو القناة التي حلت من خلالها المجتمعات الرأسمالية أزمتها مثل فترة الركود الاقتصادي الكبير (40).

ومن هنا يصبح النمو الاقتصادي ضرورياً ومهماً جداً لزيادة الأجور وتحسين أوضاع العمال. وهذا بالتالي يسمح للطبقة الرأسمالية وحلفائها بالمحافظة على أرباحها وممتلكاتها عن طريق شراء القوى العاملة، وبما أن النظام الرأسمالي يركز على الملكية الفردية وليس المجتمعية - فإن الاستهلاك يوجه نحو العائلة النووية، كامتلاك أكثر من سيارة وجهاز تلفاز... الخ، للعائلة الواحدة. يفرض هذا النمط الاستهلاكي الخاص استنزاف المصادر الطبيعية، وعدم المحافظة على توفير مستوى معين من الموارد والاستهلاك، وبالتالي المزيد من الانحدار البيئي، ومن هنا فإن المنظرين الراديكاليين يرون أن النظام الرأسمالي نظاماً توسعياً، وفي الفترة التي لا يتسع فيها تصيبه حالة من الركود، وبما أنه نظام مسرف ومكلف فإنه يؤدي إلى نتيجة واحدة وهي: الاستعمال المنهك لمصادر البيئة الطبيعية (41).

مما تقدم نجد أن تحليل المحافظين انطلق من الجوانب الثقافية للمجتمعات، فقد قدموا تفسيرات لظواهر اجتماعية معينة، مثل تكيف الناس مع التلوث، والسلوك والاتجاهات، إلا أنهم لم يقدموا تحليلات لطبيعة بناء المجتمع، ولا بياناً لديناميكية التغيير الاجتماعي. وهم ببساطة لم يقبلوا حل المشكلات البيئية مقابل التضحية بالنمو الاقتصادي، بمعنى أنهم يرفضون زعزعة الافتراض القائل بوجود علاقة حميمة بين التصنيع ومستوى المعيشة، لذا كانوا دائماً مترددين في اتخاذ قرارات ومواقف قد تؤدي إلى تقليص القاعدة الصناعية لمجتمعاتهم.

أما النمط الليبرالي فقد قدم تفسيراً لأسباب ظهور المشكلات البيئية وربطه بالقوة والهيمنة ومصالح الشركات الكبرى، داعياً أنصار البيئة لتولي عملية تقليص أو نزع هذه القوة والهيمنة، وقد وجه الراديكاليون نقداً لليبراليين يوضح صعوبة الحلول التي طرحها الليبراليون وهي:

1- إن المشكلة تكمن في النظام الرأسمالي، ومن الصعب تغيير ميزان القوة وأخذها من الشركات المهيمنة ذات المصالح، ذلك أن التوسع الاقتصادي هو اللبنة الأساسية في النظام الرأسمالي والذي يتطلب استنزافاً هائلاً لمصادر الطاقة والموارد من أجل تحقيق معدلات نمو اقتصادي مرتفع.

2- أن الشركات لن تقبل التغيير الذي اقترحه الليبراليون لأن ذلك يعني دماراً للرأسماليين، لذا فإن الحل بالنسبة للراديكاليين يكمن في إنهاء الرأسمالية، ولكن يبقى التساؤل الكبير في يومنا هذا بعد انهيار المعسكر الشيوعي، هل من الممكن إنهاء الرأسمالية؟ وهل هناك بدائل عملية يمكن تطبيقها؟ وتساؤلات كثيرة أخرى متعددة.

إن النماذج البيئية الاجتماعية السابقة، انطلقت من أدبيات وفكر المدارس الاجتماعية الكلاسيكية، ومن ظروف المجتمعات الصناعية وبيئتها، وقد أدت المشكلات المنهجية والتطبيقية للنماذج النظرية السابقة إلى الاستمرار في محاولات بحث جديدة تهدف إلى إيجاد نماذج نظرية سوسيولوجية لتناول القضايا البيئية. ونتيجة لهذا فقد ظهر النموذج البيئي الجديد، والذي طوره كل من كاتون ودانلوب 1978، عن طريق صياغة نظرية تسمى نظرية الفهم العالمي الشامل للبيئة (42).

4- النموذج البيئي الجديد (NEP) New Environmental Paradigm:

لقد قدم كل من (وليم كاتون ورايلي دنلوب 1978) نموذجاً جديداً لدراسة البيئة كقاعدة لعلم الاجتماع البيئي مقابل "نموذج التميز الإنساني الذي ساد التفسيرات الاجتماعية السابقة، وقد اعتمدت حجة كاتون ودنلوب على أن معظم الأنماط الاجتماعية تنظر للمجتمعات الإنسانية على أنها محور العالم الطبيعي ومركزه، بكل ما يرافق هذه النظرة من استخدامات للبيئة والسيطرة عليها، وحل مشاكلها بالإنسان ومنجزاته، وبغرض خدمة الإنسان دون اعتبار للعناصر البيئية الأخرى، أو اهتمام بما يؤدي ذلك إلى تقليل قدرة الأرض على استيعاب التلوث وامتصاصه، وبحق الكائنات الحية الأخرى بالعيش في جو خال من التلوث، فهناك أربعة سمات أساسية اشتمل عليها نموذج التميز الإنساني هي (43):

- 1- يمتلك الإنسان تراثاً ثقافياً بالإضافة إلى الوراثة الجينية لذا فهو يختلف عن باقي الكائنات الحية الأخرى.
- 2- إن العوامل الثقافية والاجتماعية -بما في ذلك التكنولوجيا- هي العوامل الرئيسية التي تحدد نوع العلاقات الإنسانية.
- 3- تعتبر كل من البيئة الاجتماعية والثقافية، إطار العلاقات الإنسانية، أما البيئة الطبيعية فهي غير متصلة بالموضوع إلى حد بعيد.
- 4- إن الثقافة عبارة عن تراكمات، وبما أن التقدم التكنولوجي والاجتماعي عمليتان مستمرتان إلى ما لا نهاية، فإن ذلك يجعل كل المشاكل الاجتماعية قابلة للحل.

نتيجة لذلك طور كل من كاتون و دنلوب نموذجاً جديداً منافساً في مجال علم الاجتماع البيئي، أطلقا عليه النموذج البيئي الجديد، ضمناه أربعة مبادئ أساسية هي (44):

- 1- على الرغم من اتصاف الإنسان بصفات خاصة ومميزة، كالثقافة والقيم والتكنولوجيا، إلا أنه واحد من أنواع كثيرة، لا تعد ولا تحصى، تعتمد على بعضها في النسق البيئي الكبير.
- 2- إن العلاقات الإنسانية لا تتأثر بعوامل اجتماعية وثقافية فقط، ولكن تتأثر كذلك بعلاقات متشابكة من الأسباب والنتائج وما يترتب على ذلك من ردود أفعال في نسيج البيئة الطبيعية، وعليه فإن الأفعال الإنسانية الهادفة لها كثير من النتائج غير المقصودة. أو ما يسمى بالوظائف الكامنة.
- 3- يعيش الناس ويعتمدون على بيئة بيولوجية فيزيائية محدودة تفرض قيوداً حيوية وفيزيائية على العلاقات الإنسانية.

4- رغم أن كثيراً من قدرة الإنسان على الاختراع والقوة المستوحاة أو المستقاة من عدة اختراعات، قد تبدو للوهلة الأولى أنها تحمل في طياتها قدرة فائقة، إلا أنه لا يمكن إلغاء القوانين الايكولوجية أو تجاوزها.

فمن خلال النقاط الأربع المقدمة من طرف كاتون و دنلوب بخصوص النموذج البيئي الجديد في علم الاجتماع المنافس لنموذج التميز الإنساني نلاحظ تركيزهما على إعطاء لكل طرف حقه في العملية التفاعلية بين الإنسان والبيئة، واعتبار الإنسان كائناً من الكائنات الحية الكثيرة المختلف رغم تميزه بالثقافة والقيم والتكنولوجيا، وهو بمعاشته لهذا الواقع يشكل نسقاً بيئياً كبيراً، وعلاقاته الإنسانية لا تتأثر بالاجتماع والثقافة فقط، وإنما تتأثر وتؤثر بالحيز البيئي الذي شكله مع البيئة المحيطة، ورغم قدرته على الاختراع إلا أنه لا يمكن انكار وإلغاء القوانين الايكولوجية أو تجاوزها لأنها ذات قدرة فائقة تفرض عليه قيوداً ورضوخاً في بعض الأحيان.

هذا، وقد قدم باتيل في 1987 نقداً لكلا النموذجين. حيث أوضح أن كل من كاتون ودنلوب قدما مفهوم نموذج التميز الانساني على أنه نموذج قديم يغطي عدة اتجاهات نظرية متنافسة، وأنه يركز على الجانب الاجتماعي الإنساني فقط، وبالتالي فهو غير واقعي، وغير مناسب كإطار نظري بيئي للمجتمعات الإنسانية، أو بعبارة أخرى، لا يمكنه تفسير حدود البقاء الإنساني في هذا الكون، ضمن مقدرات البيئة، وينطلق نقد باتيل من انه بالرغم من اشتغال النموذج البيئي الجديد على "واقعية بيئية" وهو يوافق رأي كاتون ودنلوب في ضرورة دمج مفاهيم مثل: الحدود، والقيود البيئية، في التحليلات الاجتماعية، إلا أنه يعتقد أن كلا النموذجين، لا يشتملان على مجموعة من الفرضيات المتجانسة لذا، فإن فرضيات كل منها غير منسجمة داخليا ولا تتسم بالشمولية، وفي رأيه ان هذا الاختلاف بين النموذجين هو جزء من الجدل الحيوي الدائر حول الأطر النظرية الرئيسية في علم الاجتماع، كما انه يرى عدم إهمال نموذج التميز الانساني كليا بل الأخذ من كلا النموذجين بالإضافة إلى عدم إهمال النظريات الأخرى كالماركسية والوظيفية، لأنه يأمل أن لا يقتصر علم الاجتماع البيئي على كونه موضوعاً فرعياً في علم الاجتماع، بل ينبغي أن يستطیع هذا العلم الجديد والهام التوفيق بين كل الاختلافات النظرية والاستفادة منها جميعاً(45).

وقد حدد مجالات رئيسة للبحث في علم الاجتماع البيئي على اعتبارها المحاور الكبرى في هذا التخصص وهي:

- الأيكولوجيا البشرية الجديدة.
- الاتجاهات والقيم والسلوكيات البيئية.
- الحركات البيئية.
- المخاطر التكنولوجية، وتقويم المخاطر.
- الاقتصاد السياسي للبيئة والسياسات البيئية (46).

والخلاصة أن بين المجتمع والبيئة علاقة متبادلة، ولا يمكن دراسة المجتمع بمعزل عن البيئة، أو دراسة البيئة بمعزل عن المجتمع، وهذه أصبحت حقيقة يدركها كل العلماء والباحثين سواء الاجتماعيين أو البيئيين مهما اختلفت آراءهم أو نظرياتهم أو حتى نماذجهم، وأصبح علم الاجتماع البيئي في الآونة الأخيرة يفرض نفسه وبحدة كتخصص ضمن تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية، يكتسب أهمية بالغة هي نفس أهمية البيئة بالنسبة للإنسان، والتي بدورها -البيئة- أصبحت في عالم اليوم تجذب اهتمام الأفراد والحكومات على حد سواء لما آلت إليه من تدهور يهدد حياة المجتمعات والبشرية بأسرها.

خاتمة:

من خلال استعراض أهم المدارس النظرية التي تناولت العلاقة القائمة بين البيئة والإنسان، والتي هي المدرسة الحتمية، والمدرسة الاختيارية، والمدرسة التوافقية، تبين أن كل مدرسة اعتمدت في تفسيرها لهذه العلاقة على ركيزة معينة، وأن هذه العلاقة وجدت منذ تواجد الإنسان على الأرض، ومحاولة تفسيرها ليست جديدة على الإنسانية وإنما هي منذ العصور القديمة بداية بالإغريق، وإنما شدة كثافة وحدة كبيرة في العصور الأخيرة نتيجة لما آلت إليه البيئة من تدهور واستنزاف.

وكذلك نفس الشيء بالنسبة للاتجاهات المتعلقة بدراسة البيئة، فهناك اتجاهات كلاسيكية ظهرت نتيجة ظروف معينة كالثورة الصناعية وبروز الرأسمالية والاشتراكية، وهي بذلك حاولت إيضاح كيفية دراسة القضايا البيئية بالاعتماد على عدة مؤشرات، ثم جاء النموذج البيئي الجديد وحاول إعطاء نظرة جديد لدراسة القضايا البيئية وكيفية معالجتها ضمن ما يسمى بعلم الاجتماع البيئي.

ولا يمكن نكران ما قدمته هذه المدارس والاتجاهات لعلم الاجتماع البيئي، فقد كانت بمثابة القاعدة الأساسية والأطر النظرية لتفسير المشكلات البيئية وعلاقتها بالإنسان من الجانب النظري وانطلاقاً من تفاعل الإنسان مع ما يحيط به من بيئة طبيعية واجتماعية واقتصادية، ومن جهة أخرى فقد مثلت هذه المدارس والاتجاهات فلسفة نظرية وقاعدة علمية للباحثين في هذا التخصص ساعدتهم على فهم القضايا البيئية وذلك لهم كثيراً من الصعوبات كانوا في غنى عنها.

الهوامش:

- (1) - محمود الكردي وآخرون: الدراسة العلمية لتلوث البيئة، التقرير الأول، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، بحث التكلفة الاجتماعية لتلوث البيئة في مصر، القاهرة، 2001، ص 8.
- (2) - إبراهيم سليمان عيسى: تلوث البيئة أهم قضايا العصر، المشكلة والحل، دار الكتاب الحديث، ط2، 2000، ص 17.
- (3) - زيد المال صفية: حماية البيئة في إطار التنمية المستدامة على ضوء أحكام القانون الدولي، رسالة دكتوراه في العلوم، تخصص قانون دولي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2013، ص 7.
- (4) - عبد الله عطوي: الجغرافيا البشرية، صراع الإنسان مع البيئة، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1996، ص 25.
- (5) - فيصل ذيب: المدخل الإسلامي للبيئة، رؤية في علم الاجتماع البيئي، مرجع سابق، ص 7.
- (6) - تمايدي عبد المالك: الجماعات المحلية واستراتيجية حماية البيئة، مذكرة ماجستير تخصص علم اجتماع البيئة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 22.
- (7) - المرجع نفسه، ص 23.
- (8) - حسين عبد الحميد رشوان: البيئة والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006، ص 87.
- (9) - تمايدي عبد المالك: مرجع سابق، ص 23.
- (10) - عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ص ص 58-61.
- (11) - فيصل ذيب: المدخل الإسلامي للبيئة، رؤية في علم الاجتماع البيئي، مرجع سابق، ص 8.
- (12) - مسعودة عطال: مرجع سابق، ص 37.
- (13) - المختار محمد إبراهيم: ابن خلدون... البيئة والمجتمع، مجلة الجامعة المغاربية، العدد السادس، اتحاد المغرب العربي، 2008، ص 231.
- (14) - المرجع نفسه: ص ن.
- (15) - فيصل ذيب: دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، مذكرة ماجستير تخصص علم الاجتماع البيئي، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009، ص 64.
- (16) - مسعودة عطال: مرجع سابق، ص 38.
- (17) - المرجع نفسه، ص 39.
- (18) - فيصل ذيب: دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، مرجع سابق، ص 66.
- (19) - مسعودة عطال: مرجع سابق، ص 39.
- (20) - عبد الله عطوي: مرجع سابق، ص 25.
- (21) - فيصل ذيب: دور المسجد في نشر الثقافة البيئية، مرجع سابق، ص 70.
- (22) - حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سابق، ص 91.
- (23) - عبد الله الدبوبي وآخرون: الإنسان والبيئة دراسة اجتماعية تربوية، ط3، دار المأمون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، 2012، ص 23.
- (24) - أحمد موسى محمود خليل: مقدمة في الجغرافيا البشرية المعاصرة، المكتب العربي للمعارف، مصر، 2014، ص 16.
- (25) - المرجع نفسه، ص ن.
- (26) - حسام الدين جاد الرب: الجغرافيا البشرية، مكتبة الإسكندرية، مصر، د ت، ص 18.
- (27) - أحمد موسى محمود خليل: مرجع سابق، ص 17.
- (28) - المرجع نفسه، ص 18.
- (29) - جودة حسنين جودة: أسس الجغرافيا العامة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2004، ص 358.

- (30) صالح بن محمد الصغير: الاتجاهات والأطر النظرية لعلم الاجتماع البيئي ودورها في الأبحاث البيئية "دراسة نظرية"، جامعة الملك سعود، السعودية، 2009، ص 07.
- (31) بشير ناظر حميد: دراسات في علم الاجتماع، ط1، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 2014، ص 25.
- (32) عبد الرؤوف الضبع: علم الاجتماع وقضايا البيئة، مداخل نظرية ودراسات واقعية، دار الوفاء، مصر، 2004، ص 52.
- (33) عبد الله محمد عبد الرحمن: دراسات في علم الاجتماع، ج1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2004، ص 86.
- (34) صالح بن محمد الصغير: مرجع سابق، ص 07.
- (35) رضوان صالح محمد: دور الثقافة البيئية في حماية البيئة الحضرية، مذكرة ماجستير في علم اجتماع البيئية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 55.
- (36) صالح بن محمد الصغير: مرجع سابق، ص 11.
- (37) رضوان صالح محمد: مرجع سابق، ص 56.
- *-الليبرالية: يعني التحرر، والليبرالي يعني حر متحرر، ذو نزعة ترمي إلى التحرر السياسي والاقتصادي تدل هذه الكلمة في الخطاب السياسي الأمريكي حالياً على شخص يؤمن أن واجب الدولة تحسين الظروف الاجتماعية وخلق مجتمع يكون أكثر عدلاً، ويحبذ الليبراليون الإنفاق السخي على رفاهية المجتمع كما يهتمون بالأقليات العرقية والفقراء والمحرومين، كما يهتم الليبراليون بالمسائل البيئية وبالدفاع عن الحقوق المدنية ولا يباركون الإفراط في الإنفاق على الشؤون الدفاعية، انظر: قاموس المعاني، كلمة ليبرالي، مرجع سابق.
- (38) صالح بن محمد الصغير: مرجع سابق، ص 12.
- (39) المرجع نفسه، ص 12.
- *-الراديكالية: اتجاه سياسي يطالب بالإصلاح الجذري التام في إطار المجتمع القائم، ويقوم على إطلاق الحرية في الاقتصاد وعلى التفكير العقلاني غير المتسرع قبل اتخاذ الخطوات المؤدية للإصلاح. والراديكالية نزعة تقدمية تنظر إلى مشاكل المجتمع ومعضلاته ومعوقاته نظرة شاملة تتناول مختلف ميادينه السياسية والدستورية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية، بقصد إحداث تغيير جذري في بنيته، لنقله من واقع التخلف والجمود إلى واقع التقدم والتطور، ومصطلح الراديكالية يطلق الآن على الجماعات المتطرفة والمتشددة في مبادئها، انظر: قاموس المعاني، كلمة راديكالية، مرجع سابق.
- (40) صالح بن محمد الصغير: مرجع سابق، ص 13.
- (41) المرجع نفسه، ص ن.
- (42) رضوان صالح محمد: مرجع سابق، ص 60.
- (43) المرجع نفسه، ص 15.
- (44) صالح بن محمد الصغير: مرجع سابق، ص 15.
- (45) المرجع نفسه، ص 17.
- (46) رضوان صالح محمد: مرجع سابق، ص 61.

